أثر التعريب في التنمية اللغوية

د. ممدوح محمد خسارة
كلية الآداب ــ جامعة الكويت

لا يمكن لأي لغة أن تستبقي حياتها وحيويتها إلا إذا كانت قادرة على الوفاء بمتطلبات أبنائها في التعبير والتواصل بما يتفق والعصر الذي يعيشون. ولا يتسنّى لها ذلك ما لم تحمل في خصائصها قابلية التطوُّر أو النماء والتنمية.

وقد أثبتت اللغة العربية أنها تحمل بجدارة واقتدار تلك القابلية.

أثبتت ذلك للمرة الأولى عندما تطورت ونمت لتسع كتاب الله لفظاً وغاية، ولتصبح لغة شريعة وحضارة بعد أن كانت لغة جاهلية وبداوة، وكان تطور اللغة في تلك المرحلة نماء ذاتياً خلاقاً. وأثبتته للمرة الثانية عندما طُوِّرت ونُمِّيَت لتصبح لغة علوم بحتة كالرياضيات والفيزياء والفلك، وعلوم إنسانية كالفلسفة، وذلك في العصر العباسي الأول. ويلحظ أن السمة الغالبة على تلك المرحلة هي تطوير اللغة وتنميتها بجهد لغوي منظم نهض به ما يمكن أن نسميه أول مجمع علمي لغوي عربي هو بيت الحكمة[1]. المؤسسة الرسمية التي أوكلت إليها مهمة نقل العلوم إلى العربية في العصر العباسي، كان إلى جانبها ما يشبه المؤسسات الأهلية للنقل والترجمة كمجموعة (آل المنجم) ومجموعة (آل الهاشمي)[2]، وفي هذا العصر الحديث أثبتت العربية للمرة الثالثة، أنها لغة حية قادرة على التطور والتجدُّد.

ولئن كان الدافع إلى التنمية اللغوية في العصر العباسي هو التفاعل الحضاري مع ثقافات مزامنة للعربية، فإنّ الدافع إلى التنمية اللغوية في العصر الحديث هو (التعريب).

والذي نعنيه بالتعريب في هذا المقام هو نقل العلوم والتقانة إلى اللغة العربية بما يساعد

على تمثُّلها وتوطينها، وجعلها من نسيج الثقافة العربية المعاصرة. إذ لا يخفى أن للتعريب مفهومات أخرى لغوية وفكرية وسياسية، قد تتباعد أحياناً، ولكنها مشتجرةٌ أبداً بعلائق وشيجة ودقيقة، وهي تهدف في النهاية ــ مجتمعة ــ، لخلق مجتمع عربي يجمع بين الأصالة الواعية والمعاصرة المنتجة.

واجه العرب الحضارة الغربية الحديثة من خلال مدافع نابليون ومطبعته، وأدركوا أن هوة علمية وثقافية واسعة تفصل بينهم وبين الغرب، وأن لا أمل في المحافظة على ذات الأمة ووجودها إلا بالتمسك بثوابت الأمة من عقيدة ولغة، ثم بالأخذ بأسباب العلم الحديث. فكان أن افتُتحت المدارس المتخصّصة في مصر منذ سنة (1827) وفي الشام منذ سنة (1866) واتُخذت العربية لغة تعليم فيها. فبدأ التعليم ونقل العلوم إلى العربية، أي بدأ التعريب.

عاش التعريب بين مدّ وجزر. وتعرَّض لسهام الأعداء من الأجانب، وقوارص المعارضين من أبناء الأمة، لكنه ظلّ مستمراً بين خمود واتّقاد.

بدأ التعريب وحمل معه استحقاقات هذه العملية الحضارية ومستلزماتها من مراجع ومصادر ومصطلحات ولغة علمية. وقد تطلَّبت الاستجابة لتلك الاستحقاقات والمستلزمات مجموعة من الوسائل والأدوات، أهمها:

1 – بعث حركة الترجمة العلمية

انطلقت الترجمة العلمية الحديثة والمنظمة في بداية القرن التاسع عشر لا سيما بعد عودة البعوث العلمية من الغرب، وذلك لتوفير الكتب والمراجع العلمية اللازمة لطلبة المدارس المتخصّصة التي تعدل الكليات الجامعية في أيامنا هذه. وشارك فيها أساتذة المدارس المتخصّصة والكليات. وقد أحصى كتاب (الترجمة والحركة الثقافية في مصر) للدكتور جمال الدين الشيال مئتي كتاب وكتاب (201) ما بين سنتي (1832 و1853)[3].

خبت شعلة الترجمة ما بعد (1887)م عندما فرض الاستعمار البريطاني على أرض الكنانة تغيير

لغة التعليم فيها. ولكن ما لبثت أن تأجَّجَت في الشام باعتماد العربية لغة تعليم في جميع المراحل التعليمية، ثم باعتمادها لغة تعليم للمراحل ما قبل الجامعية، في معظم أقطار الوطن العربي؛ مما استدعى استئناف حركة ترجمية واسعة، أسهم فيها العلماء والمختصون وأساتذة الجامعات.

مالت حركة الترجمة العلمية إلى أن تكون مؤسَّسيَّة، لأن هدفها توفير الكتاب العلمي المرجعي لطلبة الكليات العلمية المعربة وطلبة المرحلة الثانوية. وبرز في هذا الميدان الجهات الآتية:

- وزارة التعليم العالي والجامعات السورية: وقد تَرجمت حتى عام 1966 ثلاثة وتسعين كتاباً في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والميكانيك والهندسات[4].
- ديوان المطبوعات الجزائرية: وقد ترجم نحو خمسين كتاباً في الرياضيات والفيزياء والكيمياء، لا سيما من اللغة الفرنسية[5].
- المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت، وقد ترجم نحواً من ثلاثين كتاباً[6].
- المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق، وقد ترجم حتى الآن ثلاثة وخمسين كتاباً علمياً في الطب والهندسة والفيزياء النووية والبيئة والاستشعار عن بعد. وهي كلها من المراجع الأمهات في بابها[7].
- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي؛ وقد أصدرت سلسلة الكتب المترجمة التي أربت على العشرين، ولكن أهم إنجاز ترجمي لها هو ترجمة مجلة (العلوم ــ ساينتفيك أمريكان)، أهم دورية علمية جادة في الوطن العربي.
- مجمع اللغة العربية الأردني الذي ترجم نحواً من عشرين كتاباً علمياً منهجياً ومرجعياً كان يُؤَمَّل أن يُفاد منها في تعريب التعليم الجامعي في الأردن، وهي في علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء بما يفي بمتطلبات السنتين الأولى والثانية.

وثمة مؤسسات دولية تسهم في هذه العملية كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم

(اليونسكو)، إلى جانب دور النشر العربية والأجنبية لا سيما الروسية والأمريكية والألمانية.

هذا عن الترجمة العلمية خاصة. أما عن الترجمة عامة أدبية وعلمية، ففي إحصاء أجرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن الكتب المترجمة إلى العربية من سنة (1970) إلى سنة (1980) تبيَّن أن مجموع الكتب المترجمة هو (2840) كتاباً[8]. نسبة الكتب العلمية منها هو 14% فقط، أي نحو (285) كتاباً في السنة. ولو قارنا هذه الأرقام مع أرقام ما يترجم إلى اللغات الأخرى لَهالنا ذلك البون الشاسع بيننا وبينهم. فعلى سبيل المثال تترجم تركيا (1000) ألف كتاب سنوياً، أي نحو أربعة أضعاف ما يترجم إلى العربية في الوطن العربي كله. أما ألمانيا الغربية فتترجم إلى لغتها (6000) ستة آلاف كتاب، على ما وصلت إليه الدولتان الأخيرتان من تقدم علمي وتقني يغنيهما عن ترجمة الكثير من فروع المعرفة.

ولكن... حتى هذا العدد القليل من الكتب العلمية المترجمة، فنحن مدينون فيه لحركة التعريب، إذ لولاها لما كان ثمة مسوِّغٌ لترجمة هذه الكتب المرجعية العالمية، لأن هذا العدد القليل إنما جاء لتلبية حاجة الجامعات والكليات التي تدرّس بالعربية. وهي لا تزيد على 15% من مجموع الجامعات والكليات في الوطن العربي. فلو كان التعريب عاماً في كل الجامعات العربية والمعاهد العليا لتضاعفت هذه النسبة سبع مرات مما سيجعل الترجمة إلى العربية في مصاف بعض الدول الأكثر تقدماً منا.

إنه لولا وجود التعليم المعرَّب لانعدمت الترجمة العلمية أو كادت، ولما كان بوسع المثقف العربي أن يطلع بلغته على أيسر الكتب العلمية، أو كتب الثقافة العلمية العامة.

2 – وضع المصطلح العلمي العربي وألفاظ الحضارة

المصطلح عنصر أساسي من عناصر النص العلمي. والمصطلح كلمة خرجت من مفردات اللغة العامة وخُصِّصَتْ بدلالة متفق عليها بين أصحاب علم معين والمشتغلين فيه. ولكل علم مصطلحاته التي تُعَدُّ من مفاصله، ولا يمكن ترجمة ذلك العلم إلا بتعرُّف مفهوم تلك

المصطلحات أولاً ثم إيجاد المقابل لها في اللغة المترجَم إليها.

كان وضع المصطلح حجر الزاوية في تعريب العلوم والتعليم، ومن أجله أُنشئت المجامع اللغوية أصلاً. وليس من مجمع لغوي عربي إلا وتنص وثيقة إنشائه ولائحته التنظيمية على هذا الهدف.

وكان المفكر عبد الله النديم وقد طالب في جريدته (الأستاذ) سنة (1892) "بأن تجتمع هيئة من العلماء والعارفين باللغات الأجنبية للنظر في جميع القضايا التي تثيرها مواكبة العربية لحاجات العصر"[9]. وكان الشيخ (حمزة فتح الله) يقول "لا يتيسَّرُ لنا استخراج اصطلاحات فنية في لغتنا إلا بمجمع يحافظ على اللغة من شوائب العامية والعجمة"[10].

وعندما قام أول مجمع لغوي حديث في دمشق سنة (1919) حدَّد في بيانه الأول مهماته، "وأولها النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقص من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية"[11].

وعندما قام مجمع اللغة العربية في مصر حددت المادة الثانية من مرسوم إنشائه الغرض منه وهي "أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وتقدمها"[12].

وكانت هذه الحال في سائر المجامع التي تتابع إنشاؤها، وبلغت تسعة مجامع يضمها اتحاد المجامع اللغوية. إلى جانب هذا الهدف الأساسي للمجامع لا سيما المتقدمة منها، كان ثمة أهداف أخرى انصبَّت في المحصلة الأخيرة على ترقية العربية وصونها من مظاهر الضعف، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

تولى مهمة وضع المصطلح العلمي العربي هيئات رسمية كالمجامع اللغوية، والاتحادات المهنية، وأفراد من العلماء وأساتذة الجامعات، والتراجمة.

ليس ثمة إحصاء دقيق لعدد المصطلحات التي وضعت في هذا العصر، وإن كان معظم

التخمينات يدور حول نصف مليون مصطلح. وصعوبة الحصر ناجمة من أن كثيراً من المصطلحات مشتركة بين علوم متعددة، فلا يُركن إلى حصيلة جمع مصطلحات كل علم لتشكل المجموع العام للمصطلحات، وللسبب نفسه لا يركن إلى جمع ما جاء في المعاجم المتخصّصة، يضاف إلى ذلك أن بعض المصطلحات الأجنبية حظيت بأكثر من مصطلح عربي واحد. ولكن الثابت الذي يُركن إليه أنّ البنك الآلي السعودي للمصطلحات خزّن حتى الآن في حاسوبه نحو ثلاثمائة ألف مصطلح[13]. وما يزال العمل جارياً. في حين خزّن معهد الأبحاث والدراسات للتعريب في المغرب أربعمائة ألف مصطلح في مركز الحاسوب العالمي في روما[14]. وهذه إحصائيات تعود إلى بداية التسعينيات، وها نحن أولاء في آخرها. بل إن معجماً آلياً للمصطلحات الطبية يقوم على إعداده المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية سيضم وحده مائة وخمسين ألف مصطلح طبي. وليس من علم إلا ووُضعَت له مصطلحات عربية بدءاً من العلوم البحتة كالرياضيات والفيزياء، وانتهاء بالعلوم التطبيقية الفرعية جداً (كمعجم التعويضات السِّنيَّة).

ومن المعلوم أن طرائق وضع المصطلح التي اعتمد عليها المصطلحيون هي:

- **الترجمة**: بمعنى ترجمة المصطلح لا النص، أي إيجاد الكلمة العربية القديمة المكافئة للمصطلح الأجنبي.
- **التوليد**: أي وضع مصطلح أو كلمة جديدة مشتقة من جذر عربي، لم تكن استعملت من قبل، أو متُجَوَّز بها من كلمة عربية قديمة لم يكن لها الدلالة الجديدة ذاتها.
- **الاقتراض**: بنوعيه من معرَّب ودخيل. فالمعرَّب كلمة أجنبية أخذت وعُدِّلَت صوتياً لتناسب النظام الصوتي العربي. والدخيل كلمة أجنبية أُخذت وبقيت على حالها لتَعذّر إخضاعها للنظام الصوتي العربي[15].

ولا ينكر أن عملية وضع المصطلح هذه قد كان لها آثار بالغة الأهمية في التنمية اللغوية، أهمها:

1. **إحياء التراث العلمي العربي** لاستيحاء مصطلحاته التي يمكن الإفادة منها في إيجاد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي، وهكذا نفض الغبار عن كتب النبات والطب والصيدلة والرياضيات وأحييت مصطلحاتها مثل: القرنية والملتحمة والحُبسة والمبضع في الطب، ومثل: الجذر والأس والزاوية والمثلث في الرياضيات، ومثل: الطَّلع والسَّداة في النبات. إن مثل هذه المصطلحات، وغيرها كثير، إنما استمدت من كتب التراث العلمي العربي ومن معاجم اللغة العامة، كلسان العرب، والمتخصصة كالمخصَّص. كما نشط البحث في كتب التراث الأدبي والاجتماعي وعلى رأسها كتب الجاحظ وأبي حيان التوحيدي، لسَبرِ ما ورد فيها من ألفاظ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والتي يمكن الإفادة منها في ألفاظ الحضارة المعاصرة والحياة اليومية من مسكن وملبس وطعام واقتصاد[16].

تمدنا كتب التراث العربي بنحو 65% من مصطلحات العلوم الإنسانية، وبنحو 37% من مصطلحات العلوم الأساسية والتطبيقية. فمن أصل (286) مصطلحاً جغرافياً أقرها مجمع القاهرة نجد (151) مصطلحاً مترجماً ومن أصل (270) مصطلحاً في الإلكترونيات نجد نحو (87) مصطلحاً مترجماً[17].

2. **تفعيل الخصائص التوليدية في اللغة العربية** بشكل الاشتقاق بأنواعه الصرفي والإبدالي والتقليبي والإلحاقي والنحتي، كما يشكل المجاز بنوعيه المرسل والعقلي أهم أدوات التوليد والتنمية في اللغة.

ولما كان أغلب المصطلحات العلمية الحديثة مما لا مكافئ له في العربية التراثية، وجد المُعرِّبون في التوليد اللغوي مضماراً رحباً لتنمية العربية وسدّ الحاجة إلى الجديد من الكم المصطلحي.

ونعني بالتوليد وضع كلمة عربية جديدة بدلالة جديدة لم تستعمل بها من قبل، ولكن انطلاقاً من جذر عربي. سواء أكان ذلك بالاشتقاق أم بالمجاز، فمصطلحات مثل (الاستشعار والاستمطار والحوّامة والمفُاعل) إنما أدى إليها الاشتقاق، كما أن مصطلحات مثل (الوشيعة،

الإقلاع، البرقية) إنما أدى إليها المجاز.

وقاد تفعيل الخاصيَّة الاشتقاقية في اللغة إلى البحث في دلالات الأبنية العربية لاستنباط معانيها والصياغة على منوالها. فدُرست دلالات صيغ مثل (فَعُول) التي ارتُئِيَ أنه يغلب عليها الدلالة على القابلية نحو (شروب) للماء الصالح للشرب، و(مَفعَلة) التي يمكن أن تدل على المكان الذي يكثر فيه الشيء، أو تدل على السببيَّة[18]. ودعا بعضهم إلى صوغ أبنية وإعطائها معاني تحكمياً بل أن بعضهم ذهب إلى إمكان الإفادة من الإبدال أو الاشتقاق الإبدالي، للدلالة على الفروق النوعية في الشيء الواحد، كأن يستعمل (الكَبح) للدلالة على نوع من الإيقاف. و(الكمح) للدلالة على نوع آخر منه[20].

وتدل إحصائيات على عينات من المصطلحات أن نسبة المصطلحات المولدة بالاشتقاق بلغت نحو 32%[21]. وهي نسبة أدت إليها دراسة سبع مجموعات من المصطلحات في علوم مختلفة.

أما المجاز فقد أمَدَّ المعربين بنحو 12% من المصطلحات. إذ كان عدد المصطلحات المستمدة من المجاز في خمس عينات مأخوذة من خمسة معاجم متخصِّصة متنوعة هو (123) مصطلحاً من مجموع (1021) مصطلحاً[22].

إن تفعيل هذه الخاصية التوليدية وإعادة تشغيلها بعد توقف كاد يصدئها، لم يتم إلا عبر دراسات معمَّقة ومكثَّفة في النظام الصرفي والدلالي العربي.

وبسبب من ذلك، توزعت جهود المؤسسات اللغوية، ولا سيما مجمع اللغة العربية في القاهرة على محورين:

الأول هو إجراء الدراسات والبحوث اللغوية التي تخدم مسألة الاصطلاح، والثاني وضع المصطلح نفسه. ذلك أن وضع المصطلح خضع لمعايير العربية في التوليد؛ وعلى هذا فقد كانت أوائل القرارات التي اتخذها مجمع القاهرة قرارات تُؤَصِّل وتُقَعِّد لوضع المصطلحات

وهي قرار المولَّد، قرار (فِعالة) للحرفة، قرار (فعَلان) للتقلب والاضطراب، قرار (فُعال) للمرض، قرار المصدر الصناعي...، قرار النحت، قرار (فَعَّالة) لاسم الآلة، قرار (مَفعَلة) للمكان الذي يكثر فيه الشيء، قرار الافتعال للالتهاب...[23].

ويرى بعضهم أن القرارات التي اتخذها مجمع القاهرة في ربع القرن الماضي ((تعادل في أهميتها العشرين ألف مصطلح التي أتحفنا بها المجمع خلال المدة المذكورة نفسها، إن لم تَفُقها قيمة))[24]. وكانت سياسة المجمع في قراراته الاعتماد على أقوال القدماء من العلماء، ولكنه كان يستأنس أحياناً بما كثر دورانه على ألسنة المحدَثين[25].

3. **وضع الضوابط الصرفية والصوتية لتعريب الألفاظ أو التعريب الصوتي**. وفي هذا الإطار قُدمت ثلاث محاولات لنقل الحروف والأصوات اليونانية واللاتينية إلى العربية، واقتراح الحرف العربي المناسب لكل حرف أجنبي عند تعريب الكلمة الأجنبية. إحداها: للدكتور محمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية[26] والثانية: للأستاذ المجمعي مصطفى الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية[27]. والثالثة: لمجمع القاهرة[28].

ونحن ــ وإن كانت لنا تحفظات على بعض ما أقرته تلك المحاولات ــ نرى أن ما قامت به من تقعيد نقل الأصوات الأجنبية إلى العربية، كان جهداً لغوياً وقى البنية الصوتية العربية من كثير من المزالق، وأسهم في زيادة الثروة اللفظية في العربية، وبأقل مساسٍ ممكن بالنظام الصوتي العربي[29].

3 - تنشيط المعجمية المتخصصة

تضرب المعجمية المتخصصة إلى جذور عميقة في تراثنا اللغوي العربي، يعود إلى نحو سنة (200)هـ، عندما ألف جابر بن حيان كتاب (الحدود)، وهو في المصطلحات الفلسفية[30] مروراً بكتاب (التنوير) للحسن بن نوح القمري (380)هـ، وهو في مصطلحات طب العيون[31]، و(مفاتيح العلوم) للخوارزمي (387)هـ ثم المخصّص لابن سيدة. وانتهاء (بالكليات)

لأبي البقاء الكفوي وهو في مصطلحات علمية عامة يقرب ممَّا يعرف اليوم بالموسوعات.

أما في العصر الحديث، فقد تمخَّض العمل المصطلحي كما أسلفنا عن مئات الألوف من المصطلحات في تخصُّصات متنوعة. وصار الرجوع إليها في صفحات المجلات متعذراً، مما دفع إلى جمعها في معاجم متخصِّصة بحسب فروع العلم.

وبسبب من تعدد الجهات العاملة في وضع المصطلح من مؤسسات عربية ودولية وأفراد، تعددت المعاجم المتخصصة، حتى في العلم الواحد؛ إذ بلغ عدد المعاجم المتخصصة حتى سنة (1989) بحسب بعض الباحثين (960) تسع مئة وستين معجماً، منها (64) في الطب و(55) في الهندسة و(35) في الزراعة، و(45) في القانون، و(22) في الفيزياء، و(15) في الرياضيات... الخ[32].

شارك في تصنيف هذه المعاجم مؤسسات قطرية كمجامع اللغة العربية والمؤسسات الثقافية الوطنية، ومؤسسات قومية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، واتحادات عربية علمية ومهنية كالاتحاد العلمي واتحاد المهندسين واتحاد الأطباء. كما شاركت فيها مؤسسات أجنبية ودور نشر خاصة بالإضافة إلى الأفراد من المعجميين.

أوقع هذا العدد الكبير من جهات الوضع والتصنيف في إشكالية خطرة هي (تعددية المصطلح العربي)، مما أدى إلى إنشاء (مكتب تنسيق التعريب) الذي أوكلت إليه مهمة توحيد المصطلح العربي. أنجز هذا المكتب من خلال مؤتمرات التعريب توحيد نحو ثلاثين معجماً متخصصاً، وبلغ عدد المصطلحات التي وحدها حتى سنة (1983) نحو سبعين ألف مصطلح، موزعة على (23) ثلاثة وعشرين علماً.

وواضح أن عملية توحيد المصطلح العربي العلمي قد حرضت على دراسات وبحوث لسانية بهدف التوصل إلى منهجية محددة لتوحيد المصطلحات وتنميطها، وقد كان تدارس هذه المنهجية موضوع ندوتين علميتين، عقدت إحداهما في الرباط سنة (1981)، والثانية في عمان

سنة (1993)، شارك فيهما لغويون ولسانيون ومختصون علميون، وخرجتا بنتائج من شأن مراعاتها التقليل من إمكان الوقوع في التعددية المصطلحية[33].

وعلى الصعيد التطبيقي جاءت منهجية التوحيد والتنميط للدكتور محمد رشاد الحمزاوي أول إسهام جدي للسانيات في التصدي لواحدة من أكثر المشكلات اللغوية إقلاقاً[34].

قادت الملاحظات التي وُجهت إلى بعض المصطلحات، وإلى سبل توحيدها، إلى الدعوة لجعل مقرر (علم المصطلح أو المصطلحية) متطلباً جامعياً، بعد أن غدا علماً لسانياً مستقلاً له أصوله وضوابطه. صحيح أن القدرة على وضع المصطلح ليست حكراً على دارس المصطلح والمتخصص فيه وحده، ولكنّ الصحيح أيضاً أن وضع المصطلح انطلاقاً من أصول وقواعد ثبتت نجاعتها مَظِنَّةٌ للوصول إلى مصطلح يجمع بين الدقة والسلامة اللغوية وقابلية الرواج.

وكان أن استجابت لهذه الدعوة كلية الآداب بجامعة تونس، والجامعات السودانية ــ بعد تبنيها التعريب، إذ جعلت (علم المصطلح) مقرراً إلزامياً على جميع الأقسام، كل فيما يتعلق باختصاصه.

وأياً كان موقفنا من المعاجم المتخصّصة، ومن نتائج التوحيد ومن تقرير (علم المصطلح) في المرحلة الجامعية، فلا يسع الباحث إلا الإقرار بأن ذلك النشاط المعجمي واللساني والمصطلحي، وأن تلك الجهود التي بذلت في إطار توحيد منهجيات وضع المصطلح أو توحيد المصطلح نفسه، إنما قامت بتأثير من حركة التعريب، وكانت نتائجها إسهاماً فعالاً في التنمية اللغوية.

4 – التأسيس للغة علمية عربية معاصرة

استجابة لمستلزمات التعريب واستحقاقاته قامت – إلى جانب حركة الترجمة والاصطلاح والمعجمية ــ حركة تأليف الكتاب العلمي بنوعيه المنهجي والمرجعي.

شهد الكتاب العلمي تطوراً ملحوظاً من حيث الكم، لا سيما في الجامعات التي اعتمد

التعريب فيها نهائياً، كالجامعات السورية والسودانية، وكليات المعلمين في البلاد العربية كلها. وعلى سبيل المثال نذكر أن عدد الكتب العلمية المؤلفة في الجامعات السورية بلغ (6993) كتاباً في العلوم البحتة والتطبيقية، ويمثل هذا العدد 70% من مجموع الكتب المنهجية. في حين تمثل الكتب الأدبية 30% منها[35].

وكذلك نشير إلى جهود مؤسسات التعريب في الوطن العربي كالجامعات السودانية والمصرية والجزائرية، وإلى جهود مؤسسة الكويت للتقدم العلمي التي أصدرت حتى سنة (1994) واحداً وتسعين كتاباً. والمركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية في الكويت الذي أصدر عشرات الكتب الطبية المؤلفة، وشفَعها بمجلة (تعريب الطب) التي تنشر بحوثاً طبية معربة هامة. والمركز العربي للتعريب والترجمة بدمشق الذي يصدر إلى جانب مؤلفاته مجلة (التعريب) التي تفسح صفحاتها للمقالات العلمية بالعربية. والمنظمة العربية للعلوم التي تصدر (المجلة العربية للعلوم) باللغة العربية فاتحة أبوابها للكتابة العلمية بالعربية ولا ينسى دور اتحاد الجامعات العربية الذي تَنْشر الجامعات العربية تحت اسمه مجلات علمية عربية متخصصة، كمجلة اتحاد الجامعات العربية للعلوم الطبية التي تصدر عن جامعة دمشق ومجلة اتحاد الجامعات العربية للعلوم الزراعية عن جامعة القاهرة، ومجلة اتحاد الجامعات العربية للعلوم التكنولوجية وتصدر عن جامعة طرابلس وغيرها... والهدف من هذه المجلات هو تشجيع البحث العلمي باللغة العربية تعميماً للمعرفة وتطويراً للغة.

أما من حيث الكيفية، أي من حيث أسلوب الكتابة العلمية، فنجد تفاوتاً فيما بين هذه المؤلفات. ففي حين نجد بعض الكتب وبحوث المجلات تتمتع بلغة علمية سليمة واضحة، نجد إلى جانبها كتباً منهجية أو مرجعية، أو بحوثاً علمية ساءت لغتها العلمية إلى درجة نَفَّرَت الدارسين منها، مما انعكس سلبياً على الموقف من التعريب أصلاً.

لاحظ دعاة التعريب ــ لا سيما المختصين العلميين منهم ــ هذه الظاهرة فتنادوا لبحث مسألة الكتابة العلمية، فاستضاف مجمع اللغة العربية الأردني الندوة السادسة لاتحاد المجامع

اللغوية العربية سنة (1987)، التي خصّصت للغة العلمية العربية[36]. وعقدت في ليبيا في مطلع التسعينيات ندوة للغرض ذاته، وكان للندوتين توصيات عالجت مظاهر الخلل في الكتابة العلمية، وأكدت ضرورة تلازم السهولة والوضوح والإيجاز فيها.

ومن المعروف أن عناصر الكتابة العلمية عامة هي:

أ. الكلمة السهلة المألوفة.

ب. المصطلح الدقيق المقبول.

ج. الجملة الواضحة المفهومة، وأهم مواصفاتها:

- الصيغة الخبرية.
- النسق المألوف لمواقع الكلمات في العبارة العربية.
- البعد عن المعاني المجازية.
- تجنب الزخرفة اللفظية.
- القصر وتجنب الإطالة والحشو والتكرار.
- التسلسل المنطقي بينها وبين غيرها من الجمل والعبارات.

د. الرمز العلمي الموحّد لا سيما في الرياضيات والفيزياء والكيمياء. وقد حظيت الرموز العلمية بحظ من البحوث التي قدمت في ندوة الكتابة العلمية العربية التي عقدت في عمان. إذ نوقش فيها (مشروع الرموز العلمية العربية) الذي قدمته لجنة مختصة من المجمع الأردني، وأُقرت صيغ نهائية للرموز العلمية المعروضة[37].

هـ. المختصرات العبارية: تشكل المختصرات أو (منحوتات البدء) أداة اختصار في اللغات الأجنبية عامة والعلمية خاصة. فكلمات مثل (رادار وليزر وإيدز وبال وسيكام) إنما هي مختصرات أُلفت من الأحرف الأولى من مركبات اصطلاحية أو مسميات إدارية. وبلغت هذه المختصرات حداً من الكثرة جعل بعضهم يفرد لها معجماً خاصاً[38].

ولم يكن للكتابة العلمية العربية بُدٌّ من التعامل مع هذا العنصر الدلالي الجديد في الكتابة

العلمية الأجنبية، فبدأت الكتابة العربية الحديثة، لا سيما الإعلامية منها، تستعمل مثل هذه المختصرات كمختصر (كونا) لوكالة الأنباء الكويتية، و(حماس) لحركة المقاومة الإسلامية. ومن الجلي أن التعريب كان هو الدافع إلى مثل هذا الشكل من تطور الأشكال اللغوية الكتابية.

ولعل أهم عوامل ضعف اللغة العلمية العربية ما يلي:

1. انقطاع العرب عن البحث العلمي عدة قرون، وانقطاعهم بالتالي عن الكتابة العلمية التي يصقلها التمرّس بالبحث العلمي والتعبير عنه.
2. انقطاع العلماء العرب عن تراثهم العلمي، فقليل منهم من قرأ كتب الحسن بن الهيثم أو عبد الحميد الطوسي أو ابن سينا أو الرازي أو الكاشي أو ابن البيطار. ولو قرؤوها لوقفوا على لغة علمية واضحة مغايرة للغة الشعر والأدب، لتَبايُن الغرض من كل من اللغتين[39].

ومن المؤسف أننا ما نزال نعلم أبناءنا اللغة العربية ــ في الكليات العلمية ــ من خلال النصوص الأدبية والشعرية، حتى ليكاد يثبت في عقول ناشئتنا أن العربية ليست إلا لغة أدب وإنسانيات. لقد تُرجمت الكتب العلمية العربية القديمة إلى أهم اللغات اللاتينية، فما وَجَد فيها مترجموها الغربيون صعوبة تذكر في فهمها ونقلها إلى لغتهم، لأنها كتبت بلغة علمية واضحة.

3. الضعف العام في مستوى الأداء اللغوي للخريج الجامعي العربي غالباً. والمعروف أن من يتصدى للكتابة العلمية هم من المختصين العلميين الذين تلقّوا دراستهم الجامعية والعالية بلغة أجنبية. فهل يتوقع ممن أُعدَّ مثل هذا الإعداد اللغوي بالعربية والذي لا يتجاوز المرحلة الثانوية، أن يحسن الكتابة العلمية السليمة والدقيقة؟
4. غموض المفهوم العلمي في الذهن: يقال إن ما يكون واضحاً في الذهن يسهل التعبير عنه بوضوح، أما ما يكون غامضاً أو مشوشاً فيه، فلا يمكن إلا أن يتسرب الغموض والتشويش إلى أسلوب التعبير عنه. ولا ريب في أن بعض الكتاب العلميين يعانون من أن المفهوم العلمي عندهم غير واضح تماماً، لأسباب قد يكون منها تحصيله العلوم بغير لغته الأم.

وأياً كان المستوى الذي وصلت إليه اللغة العلمية العربية، وأياً كان النقد الذي تناولها ــ وبعضها محقّ ــ فلا ينكر أنها تمخضت عن كتابات علمية رصينة ككتابات الدكتور أحمد زكي ويعقوب صروف ومصطفى الشهابي، وغيرهم كثير، ممن تشكل كتاباتهم نموذجاً للغة علمية عربية رضيّة معاصرة.

هذه اللغة العلمية العربية المعاصرة من أهم عناصر التنمية اللغوية التي تجعل من العربية لغة حية حاولت بكثير من النجاح مواكبة التطور العلمي ومتغيراته. وواضح أن هذه التنمية اللغوية إنما كانت بفعل التعريب.

5 – حوسبة اللغة العربية

أدخل التعريبُ الحاسوبَ أداةً عصرية فعالة من أدواته. فبوساطته خُزّنت المصطلحات العلمية بعد جمعها من معاجمها التي بلغت المئين من المجلدات، كما بدأ الإعداد لقواعد المعلومات لبعض العلوم والتخصصات.

وتطلب هذا تعريب الحاسوب أولاً ــ أي نقل علومه إلى العربية ــ وبهدف تعريب الحاسوب عُقدت سلسلة من المؤتمرات المتخصصة في (اللغويات الحاسوبية)، منها:

1. المؤتمر الأول للغويات الحاسوبية ــ الكويت 1985
2. المؤتمر الثاني للغويات الحاسوبية ــ الكويت 1989. وشارك فيه كل من معهد الكويت للأبحاث العلمية ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والبنك الإسلامي، واللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغربي آسيا في منظمة الأمم المتحدة. وانصبت أبحاث هذا المؤتمر على الترجمة الآلية، والفهم الآلي للكلام، وصناعة المعاجم[40].
3. الندوة الإقليمية حول التعريب والحاسوب ــ دمشق 1996.

وقد نظمتها الجمعية العلمية للمعلوماتية بالتعاون مع هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية وشارك فيها خبراء من المغرب والأردن والجزائر والإمارات العربية ومصر واليمن

وتونس والسعودية، وفرنسا وكندا. كما أسهم فيها فنيون وباحثون من شركات عالمية للحواسيب. تضمنت أبحاث الندوة المحاور الآتية:

أ. معالجة اللغة العربية في الحاسوب: وهو ما يتطلب تهيئتها للمعالجة المعلوماتية من حيث قواعد النحو والصرف والخط.

ب. الترجمة الآلية، وما تتطلبه من معالجة للنصوص على المستوى اللغوي والصوتي والمصطلحي والدلالي.

ج. تعريب البرمجيات، بنقل أحدثها وأهمها إلى اللغة العربية.

من أهم توصياتها: إعادة إحياء المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، وإنشاء مركز عربي للغويات الحاسوبية في دمشق.

وتتوجه الجهود حالياً لإيجاد لغة عربية لكتابة البرامج الحاسوبية، حددت مواصفاتها بما يلي:

- سهولة التعبير، لتَعُمَّ وتنتشر
- التكامل، لتفي بمتطلبات الاستخدامات كافة
- المرونة في التطبيق، لتيسير تنفيذ الترجمات
- إمكانية التطوير، لملاحقة المتغيرات المستقبلية
- قابلية التداول والاستخدام على الحواسيب المختلفة
- القابلية للترجمة والتحليل الآلي[41].

ومكّن تعريب الحاسوب من إنشاء مصارف المصطلحات العربية، وأهمها (البنك السعودي الآلي للمصطلحات ــ باسم). ومن أهدافه: إعداد معجم آلي لخدمة الترجمة العلمية والتقنية. وقد ربط المصرف بطرفيات تتميز بوجود رمز واحد لكل حرف عربي، وتوفير علامات الحركات من فتح وضم وكسر وشدّ، وغير ذلك[42].

ولولا التعريب لما أمكن أن يعمّم معظم الدول العربية تعليم الحاسوب في المدارس المتوسطة والثانوية، حيث لغة التعليم هي العربية فقط.

وعوداً على بدء نقول:

نعم، لقد كان التعريب وراء كل تطوير وتنمية شهدتها اللغة العربية في العصر الحديث، ولولا التعريب وتنمية اللغة العربية لما كان للمواطن العربي اليوم أن يفيد أو يستمتع ولو ببرنامج تلفزيوني بسيط عن البحار أو الفضاء أو البيئة أو الهندسة الوراثية أو الصحة.

وباختصار، لولا التعريب لبقيت العربية لغة أدب وشرعيات، الشيء الذي يضمن لها الحياة والاستمرار، ولكن لا يؤهلها لأن تكون حيوية ومعاصرة وفعّالة، ولا يؤهلها لأن تكون إحدى اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة من بين ألفي لغة يتلاغى بها سكان هذا العالم.

نعم، لقد تكفّل التنزيل الكريم بحفظ هذه اللغة الشريفة، وبقي علينا ــ نحن أبناءها ــ أن نتكفل بتطويرها وتنميتها دون المساس بثوابتها الراسخة، ولا طريق إلى هذه الغاية المثلى إلا التعريب.

التوثيق

1. ابن النديم الفهرست: 353.
2. ابن النديم الفهرست: 356.
3. د. قاسم السارة ــ تعريب المصطلح العلمي مجلة عالم الفكر 3/19 :97.
4. ينظر: قائمة إصدارات مديرية الترجمة والنشر بوزارة التعليم العالي في سورية.
5. د. أبو بكر خالد سعد الله ــ إسهام ديوان المطبوعات الجامعية في نشر الكتب العلمية ــ مجلة التعريب ع 173:8.
6. ينظر: المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية ــ دليل المركز لسنة 1996.
7. ينظر: المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر ــ دليل المركز لسنة 1998.
8. د. أحمد العايد ــ المعجم العربي المختص: 355.
9. د. محمد رشاد الحمزاوي ــ أعمال مجمع القاهرة: 37.
10. محمد شوقي أمين ــ بواكير الإصلاح اللغوي ــ مجلة مجمع القاهرة ع 112:31.
11. أحمد فتيح ــ تاريخ المجمع العلمي: 7.
12. ينظر: إنشاء مجمع ملكي للغة العربية ــ مجلة مجمع القاهرة ع 6:1.
13. ينظر: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ــ نشرة الإدارة العامة للمعلومات: 12.
14. د. حسني سبح ــ المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح ــ مجلة مجمع دمشق ج 243:5/59.
15. لمزيد من التفصيل: ينظر: د. ممدوح محمد خسارة ــ منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث ــ مؤسسة الرسالة ــ دمشق 1998.
16. لمزيد من التفصيل: ينظر: د. طيبة صالح الشذر ــ ألفاظ الحضارة العباسية ــ في مؤلفات الجاحظ ــ دار قباء ــ وألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي ــ مطابع الأهرام التجارية ــ مصر.
17. ينظر: مجمع القاهرة ــ مجموعة المصطلحات التي أقرها المجمع ج: 91-112 وج 63:8-79.
18. د. محمد رشاد الحمزاوي ــ أعمال مجمع القاهرة: 573.
19. د. أسعد علي ــ تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: 119.
20. د. سلمان قطاية ــ مسيرات الخيل ــ مجلة المجمع الأردني ع 22:533.
21. ينظر: د. ممدوح محمد خسارة ــ التعريب والتنمية اللغوية: 129.

22. المصدر السابق: 154.

23. مجمع القاهرة ــ مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً: 12.

24. د. أحمد شفيق الخطيب ــ معجم المصطلحات العلمية والفنية: 748.

25. د. إبراهيم أنيس ــ دراسة صيغة (فعِّيل) ــ مجلة مجمع دمشق ج 366:3/39.

26. د. محمد شرف ــ معجم العلوم الطبية والطبيعية: 30:25.

27. مصطفى الشهابي ــ المصطلحات العلمية في اللغة العربية 115:106.

28. مجمع القاهرة ــ مقترحات لجنة المصطلحات مجلة مجمع القاهرة ع 8:61 وينظر: د. إبراهيم بن مراد– المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: 219.

29. لمزيد من التفصيل: ينظر: د. ممدوح محمد خسارة ــ منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث ــ مؤسسة الرسالة ــ دمشق 1999.

30. د. عبد الأمير الأعسم ــ المصطلح الفلسفي عند العرب ــ المقدمة.

31. د. نشأت حمارنة ــ المعجمات الطبية – مجلة مجمع دمشق ج 115:1/60.

32. د. محمود إسماعيل الصيني ومسفر سعيد الثبيتي ــ المراجع المعجمية العربية: 240:196. وينظر د. علي القاسمي وجواد حسني عبد الرحيم ــ ببليو غرافية المعاجم المتخصصة ــ مجلة اللسان العربي ج: 174- 135:1/20 و 200:1/21.

33. د. نسيب النشاوي ــ ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية مجلة مجمع دمشق ج 887:4/56 ومجلة مجمع اللغة العربية الأردني ع 237:45-243.

34. د. محمد رشاد الحمزاوي ــ المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها: 60 وما بعدها.

35. د. عبد الله سعيد ــ واقع الكتاب العربي ومدى تحقيقه للغرض المرجو منه ــ مجلة التعريب: 153:10-157.

36. د. د. محمود مختار ــ اللغة العربية، سماتها ومفرداتها ورموزها ــ الندوة السادسة لاتحاد المجامع العلمية اللغوية ــ عمان 1987.

37. د. عبد المجيد نصير ــ منحوتات البدء ــ مجلة المجمع الأردني ج 116:32.

38. بسام عمقية ــ معجم عمقية للمختصرات الإنكليزية ــ دار الأحباب بيروت 1990.

39. د. محمد محسن عبد العزيز ــ التعريب في القديم والحديث: 286.

40. د. محمد حسان الطيان ــ المؤتمر الثاني للغويات الحاسوبية ــ مجلة مجمع دمشق ج 353:2/65.

41. د. علي حسن فهمي ــ اللغة العربية والحاسب الآلي ــ مجلة مجمع القاهرة ع 35:273-274.

42. د. عبد الله سليمان القفاري ــ البنك الآلي السعودي ــ باسم ــ مجلة اللسان العربي ع 39:277.